

ناصر قنديل

صباح حديث الجمعة هذا الأسبوع يبدأ بتحيةٍ إلى اللواء الراحل محمد ناصيف، لتتوالى بعده الصباحت موافقةً أيام الأسبوع. ومن «قالت له» وكلام عن الحبِّ وأنواعه وأدواره، تأتي الرياضيات لتقلب الكلام حرفاً على كلمة، فتننوّع المعاني. أما المشارَكَات فغزيرة هذا الأسبوع، وذلك بعد انضمام رشا مارديني إلى سحر ورائيا.

الشام قلب الوجود

قال الصباح: الشام ممّن يحتاجه كل من أراد العبور من نقطة الجغرافيا الأهمّ إلى نقطة التاريخ الأهمّ. وكذلك كل من يريد الانتقام من التاريخ والجغرافيا. لذلك يلتقي في الشام كل أهل الخير وكل أهل الشر وكل المنازلات والغاصلة بينهمها. ما لم تكن في الشام فهي مناورة لمنازلة أشد قسوة منها، لابدّ أن تجري في الشام ولعب مسار الحروب. نعلم أن الإمبراطوريات التي زالت كان زوالها من نقطة انطلاق حرب في الشام، وكل إمبراطورية صعّدت كانت نقطة بدايتها حرب في الشام... لذلك يخطئ السوريون عندما يرددون كلام غسان تويني عن حروب الآخرين على أرضنا، فهي حرب الشر الطامع واستتفار الخير رادع الشرّ الطامع بالشام ليسود والخير يستنفر لها، لأنّها قلب الوجود. فالفخر للشام أنها نقطة الخير الأزلية يطمع بها كل الأشرار ويستنفر لها كل الأخيار... صباحكم شام ويسمعي وخير.

بيّنة الخير

قال الصباح: إن معيار انتماء الإنسان إلى جماعة، هو مقدار الخير الذي يجلبه لهم. ومن ليس منه بيّنة الخير، لا خير فيه مهما كان أذمّأؤه. ومقدار الخير علم يستفاد منه، أو قتال يحمي تغورا وأرضاً وعرضاً وكرامات. أو عرقاً يبذل لبناء وعمران، أو مال ينفق للأخذ بيد المحتاج والسائل، وشرطه كله عدم الإفادة مجداً وجاهاً باتّياهي. فالمدج والجاه الأتيان تحت قبة التواضع والخجل عرفاناً من الناس وخدمها يقبلان كعلامة خير الناس للناس. ويتقدم الناس مقاما ليس من يرفع بينهم سقفة كلاما، بل من تسبقه أفعاله في الحديث عنه... راقبوا من حولكم ووزعوا علامات امتحان الخير تحسبون الاختيار لصباحاتكم... ولو فعلتموها كل صباح لما وقعتم في الوهم والخداع، لأن الناس أمام غموض الحياة والموت والغاز. النفس الإنسانية تناس لمن يحدثها عن نفسها لا عمّا يهم الناس... لا تنتشغلوا بما كان فإن لنا بما سيكون شغلا... أن نستعد له لا أن نتحدث عنه وننتظر... وما كان عموماً يخضنا وحدنا وما سيكون يخضُ الناس كلهم... صباحكم خير.

البوصلة

قال الصباح: قريب تراه بعيداً ويعيد تراه قريباً. تلك هي معادلات دوران الليل والنهار والسفر كما هي معادلات الفكر والسياسة والقربي والحبِّ والصدافة وتبدلات الناس. المهم أن تحدّدوا بوصلة واحدة لا تحديداً عنها في رسم المسافات. فتشعرون بالإصراف والرضى. وودهم الذين يملكون لكل مزاج وطلع وحالة وخصوصية معياراً وحساباً وبوصلة يرتاحون إذا حكمهم الغرور أو المصلحة لهذا يبدو الغرور مرضاً شبيهاً بالوصولية، ويبدو اتواضع فضيلة شبيهة بالتسكك. ومن يسال نفسه كل يوم هل يبني علاقاته ومواقفه على قياس افتراض أنه محور الكون أم على أساس أنه خادم لمن يحيطون به، أو أين هو بين الحاليتين، يعرف كيف يضع قدميه على أي أرض، وأين يضع رأسه على أي سادة... طوبى لمن يتنامون وهم يتوقعون أن أعماضة العين هي آخر علمهم بالحقية، لأنهم لن يخطئوا بحق وطن أو قضية أو أهل أو أصدقاء وأخية... يعلم الناس أن الصباح سيبيقي يطلع وسيكون بين الصباحت ما لا يشهده الناس أنفسهم. فمفهم من يغادر ومنهم من يدخل الحياة جديداً... فهل يمكن أن يخطئ من يتعامل كل صباح أنه الأخير؟ هذه بداية الحقيقة وطريق الحق... تواضعوا إنكم زائلون... صباحكم خير.

حلقة مفرغة

قال الصباح: نصف مكاتبة الناس عند الناس ظنونهم بهم. ونصفها الآخر لغتهم معهم. فمن كان سهل النك والظن بالسوء بالآخر، وسهل الانتقال في التخاطب معه بلغة ملوّهة القسوة مهما كان محبا ومتعلقا بهذا الآخر، لا يفعل سوى تدميره. ويعرف الآباء والأمهات كم يرتب على ميلهم نحو تصديق ما يتهم به أحد ابنتاهم واستسهال توبيخه من نتيجة دمرة يصعب ترميم آثارها كما يصعب عليهم التخلص من هذه العادة، خشية أن يكونوا مخطئين في حسن الظن، فيزيد الإين في الثقة بفعلية تذاكبه. ويخشون أن يؤدي تساهلهم في التخاطب بلغة ليبة إلى مردود عكسيّ في تسهيل التكرار لسهولة النتيجة. وتستمر الحلقة المفرغة خصوصا مع أطفال نوابغ تكون بعض تصرفاتهم الشقية التي أسست لهذا السلوك الظالم من الأهل تعبيرا عن فرادتهم وبراءتهم، ولكنها تصاحبهم بشعور بالظلم وهم لا يحلمون لأهلهم إلا الحبّ. فيفكر هؤلاء الأوال وحيدين، وبينهم وبين العائلة جدار جليد على رغم حرارة الابتسامات. ويشعرون أن أبيا من أختوتهم يسهل عليه بأقل من صدقهم وأضعف من جهدهم حصاد الرضى، ويراقبون بدقة خطاب الأهل مع أختوتهم ويستغربون نعومة الكلام وهم وانفون أن أختوتهم أقل منهم استحقاقا له. ويلمسون حسن الظن وبين أيديهم ما يؤكّد كم هو في غير مكانه. فينمو الشعور بلا جدوى السعي لكسب الثقة. ويصمد قليل منهم على الطريق السوي ويخرف الكثيرون تحت عنوان أنا الغريق فما خوفي من البيل، أو لا قاعدة ترجى من حسن

البناء



قالت له

قالت له: أحبك أكثر ممّا أحبّ نفسي.
فقال لها: وأنا أحبّ نفسي في حبّك.

فقالت: وهل كان الحبّ الأوّل في حياتك.

فقال لها: الحبّ الأوّل من نوعه.

فاستدركت وقالت: وهل الحبّ أنواع وبينها الجيد والسيئ؟ وأي منها

حبك لي وحبّي لك؟

فقال لها: ليس في أنواع الحبّ جيّد وسيئ؛ بل كل الحبّ سيئٌ للذين يبحثون عن تفرّغ لأعمالهم لأنه يتكفل بنصف ما يمضون من العمر يعيشونه، إلا إذا كان طريقتهم إلى نجاح أو إنجاز. وكل الحب جيد للذين يحتاجون إلى جانب برودة الأعمال واشتغال العقل، إلى حرارة ودفء يستحقان هذا الانشغال. أو الذين يستطيعون أن يجعلوا الحبّ مجرد تقدير ومكانة، ويملكون إلى جانب هذا الحبّ هوامش الخصوصية لإعجاب عين أو فضول مرح أو اختبار فكرة.

فقالت: وأنواع الحبّ التي تحدّثت عنها؟

فقال: حبّ نقع عليه ونحن نبحث عن أمرٍ آخر. وحبّ يقع علينا ونحن بلا انتباه. وحبّ نأخذ أنفسنا إليه ونسرق له وقتنا. وحبّ يأخذ أنفسنا ممّا ويسرق وقتنا. وحبّ لا تقتله مسافات. وحبّ يحيى بالمسافات. وحبّ يقتل المسافات. وحبّ مقياسه القرب والبعد للعين.

فقالت: وحبّنا، أي نوع؟

فقال: هو الذي وقع علينا وقد أتممنا انشغالنا، لا يعترف بالمسافات ولا يسرق الوقت. يعرف الجمع بين العقل والقلب والروح، ويعرف المغادرة عند الضرورة، كما عرف الشجاعة في البداية.

فقالت: أتقصد وداعا؟

فقال: أقصد اللقاء العابر للمسافات. فبيننا ما بناه الاحساس لا الكلام.

وما استأثرت به الروح قبل القلب وتقبله العقل قبل اللسان.

فقالت: هل تنادييني بغير المألوف من مناداة الأحية والعاشقين؟

فقال: أنت فرحي الأبدى الذي لا يزول.

فقالت: أتمنّى الموت على صدرك لا على دفاتر أشعارك!

قالت له: ما طلبت العزلة إلا من شدة اندفاع العواطف، وفيض العطاء. من السير دونها احتراس مسلوبة الوطن إلا من أرض أبتائي. مقيدةٌ بحبّ شغل كل حياتي. الصمت! الصمت صعب جدا على من كان فرّثارا. وأبدا لا يعود الزمان أدراجة. الآن، ستارة العتمة تُسدّل على كل شيء أمامي، وأصابع الصقيع تدبب لافحة كل أعضائي. لك وحدك أوجه خطائي؛ أنا من يدفئني؟ أنا من يحييني؟

قال لها: أعشق من يجود بالروح ولا يطالب مقابلًا. يعطي بلا استبقاء، يحسن من دون انتظار جزاء. أنت وطني؛ فكيف تشعرين بلا غتراب؟ تطليبين عزلة، وابتعادا عن الأبناء؟

قالت له: متى عَطَمَ الإحسان وتحوّل إلى واجب، فأخذ كعادة، وتحولت الشهوة من شراب قوّة وحياة، إلى سَمّ حلو مذاق، وتسلب بعدها المملّ من حيث لا ندري، وخشرت همسات الحب في الأعتاق. وأسرتني داخلك كعصفور مقلّعة عليه الضلع، صار حتماً علينا الابتعاد. أطلب العزلة لأخفف من وحشة العيش محاطة بأحبة استسهلوا الأخذ وضنوا بالعطاء. اختفى عن إهتمامه عبد الكلام وبردت في عيونهم لهفة اللقاء. أريد لحظة عبورٍ إليّ، فسحة من إهتمام وشعور بامتلاء، عودة إلى حياة لا إهمال فيها. أنا لا أستطيع الفراق. لأن لي قلبا أنت له الحياة.

رائيا الصوت

كلمات في رحيل اللواء محمد ناصيف... صباح الخير لرجل الهدوء النادر

فالشام قلعتكم والشام قبيلتكم وهذا هو حافظها فلنحفظ الأمانة	فالشام قلعتكم والشام قبيلتكم وهذا هو حافظها فلنحفظ الأمانة
وأشرت للصورة المعلقة من ستين وأخضت رأسك أمامها لمهابة	وأشرت للصورة المعلقة من ستين وأخضت رأسك أمامها لمهابة
المكاتب	المكاتب
وقلت أماتته أن تحفظ أمنها عنه وليست القضية نخوة ولا البقاء في	وقلت أماتته أن تحفظ أمنها عنه وليست القضية نخوة ولا البقاء في
المكاتب إهانة	المكاتب إهانة
القضية أنه كلما زاد تعقيد المهمة وجب أن يكون القادة في الميدان	القضية أنه كلما زاد تعقيد المهمة وجب أن يكون القادة في الميدان
والتحقق من عدم ظلم الناس أو إيذاء بالخطأ أنق من ضبط مخزب أو	والتحقق من عدم ظلم الناس أو إيذاء بالخطأ أنق من ضبط مخزب أو
لصّ جبان	لصّ جبان
فمحية الناس بينتنا وحضانتنا وهذه الشام كامرأة جميلة لا تداوي	فمحية الناس بينتنا وحضانتنا وهذه الشام كامرأة جميلة لا تداوي
جراحها إلا الهمة	جراحها إلا الهمة
وخلعت فوبا تغبر من تراب وحصى وأودعت البدنية جانباً وقلت	وخلعت فوبا تغبر من تراب وحصى وأودعت البدنية جانباً وقلت
فلبندب المهمة	فلبندب المهمة
كتأ يومها وقد حسمت حرب الجبل وتلّفت بيروت من أدرانها بعد	كتأ يومها وقد حسمت حرب الجبل وتلّفت بيروت من أدرانها بعد
المقلّعة	المقلّعة
وكنّت تعدّ للرئيس الراحل حافظ العرب تصوّراً عن إدارة الحرب المقلّعة	وكنّت تعدّ للرئيس الراحل حافظ العرب تصوّراً عن إدارة الحرب المقلّعة
وكان لثبته لبنان والعرب أفكار وآراء وسيناريوات علقت عليها بالروية	وكان لثبته لبنان والعرب أفكار وآراء وسيناريوات علقت عليها بالروية
المذهلة	المذهلة
وكان الموقف السعودي بنسر ين سلطان يدقّ باب دمشق طلباً للوساطة	وكان الموقف السعودي بنسر ين سلطان يدقّ باب دمشق طلباً للوساطة
وكتأ نقول مغازحين بعض العرب يفرحون لو تسقط مرة أخرى	وكتأ نقول مغازحين بعض العرب يفرحون لو تسقط مرة أخرى
غرناطة	غرناطة
وكان التحضير لمؤتمر في جنيف وفي لوزان وإسقاط اتفاق السابع	وكان التحضير لمؤتمر في جنيف وفي لوزان وإسقاط اتفاق السابع
عشر من أيّار	عشر من أيّار
وكنّت وثاقاً من الحنكة والحكمة عندما يلتقي النبيه بالإسد لإدارة	وكنّت وثاقاً من الحنكة والحكمة عندما يلتقي النبيه بالإسد لإدارة
المسار	المسار
تقلق على المقاومين وتقول إنهم أصل المسألة ومصدر العزّة والكرامة	تقلق على المقاومين وتقول إنهم أصل المسألة ومصدر العزّة والكرامة
ولهم وعندهم تقول لأنام قيل أن ادعو لهم بالمسامة	ولهم وعندهم تقول لأنام قيل أن ادعو لهم بالمسامة
فكل حاجاتهم وطلباتهم مستجابة	فكل حاجاتهم وطلباتهم مستجابة
البنوي	البنوي
ولكل سؤال منهم نعلم جاهزة تكون الإجابة	ولكل سؤال منهم نعلم جاهزة تكون الإجابة

هكذا أحبك!

ربما عرفت الآن لسانا يتزهدُ
الشئنا!
أوليس اكتفاءً بنعم الله، ورضىً
بعشيتته وانصرافاً إلى عبادته؟
أوليس لأنهم يحيون راحة وصفاء؟
ويتشعرون أنهم وهوما في الأرض
وأحبتهم السماء؟
فهم لا يخشون الغناء!
سحر عبد الخالق

أشعر أن الله قد أسخِعَ عليّ مزيداً منْ
نعمه، حين شاء ولادةً حيناً!
أوليس الجنة غاية المؤمنين
وهي الأرضى رب العالمين؟
لقد أسكنتني، جزءاً من فردسه
البنوي
أوهكذا يظنّ العاشقون!

خاطرة

قالت: زرعتك في عيوني. أسدلت جفوني فيها أحميك. وتلّفت دعمي ليسبقك فلا يطاولك جفاف بل جحان ترويك.
قال: بهما تذكرت كل ماضي، وحلفت ذلك أن يكون مستقبلا معاً واعدأً جميلاً.
حلقت بهما أذنا مالي ومالي، هكذا يا وطني إذا لم تسعد الدنيا سعتك العيون.
قال البارود الأسود: ساملا صدورك برماحتي الكريمة، وسانثر الأشلاء فوق جوانب الأرض.
رد ياسمين بلادي: مهلا، ستبقى أرض الشام تفخر بان ترابها من رفاه شبهاها، ويكون لجذوري سماءاً تفوح به رائحتي تطلقني على رائحة الكره.

رشا مارديني

5 حديث الجمعة